

سوريا: أصوات في محنة

نشرة شهرية حول أزمة حقوق الإنسان في سوريا



"كانت ابنتي تنزف حتى الموت - ولكنهم لم يطلبوا سيارة إسعاف"

صورة
لصفاء، في
الثامنة من
عمرها، والتي
توفيت بعد
أن تعرضت
لإطلاق النار
من قبل
الجنود
المصريين
© Private

لاجئ من سوريا في مصر متحدثاً إلى محمد المسيري، الباحث في الشؤون المصرية بمنظمة العفو الدولية، عن رؤية ابنته وهي تُردى برصاص قوات الأمن المصرية.

التعسفي، وفي بعض الأحيان للترحيل القسري إلى سوريا أو غيرها من البلدان المجاورة في المنطقة. وأصبحت أوضاعهم في مصر يائسة إلى حد أن بعضهم أقدم على ركوب المخاطر بعبور البحر إلى أوروبا بطريقة غير شرعية.

وتحدث رب إحدى العائلات السورية لمنظمة العفو الدولية عن محاولته المأساوية مغادرة مصر، فقال:

يعيش في مصر حالياً نحو 300,000 سوري ممن فرّوا من بلادهم التي مزقتها الحرب أملاً في إيجاد الأمان لهم ولعائلاتهم. ولكن على مدى العامين الماضيين أصبحت الأوضاع في مصر خطيرة وغير آمنة على نحو متزايد، وأخذ اللاجئون من سوريا يواجهون تمييزاً وانتهاكات لحقوقهم الإنسانية. فقد تعرّضوا للاعتداءات اللفظية والتهديدات في وسائل الإعلام وعلى أسنة شخصيات عامة، ولعمليات التوقيف والاعتقال

ترتديها، اكتشفت أنها أصيبت برصاصة في بطنها دخلت من الجهة اليمنى وخرجت من الجهة الأخرى. صرختُ وتوسلتُ إلى الجنود كي يُحضروا سيارة إسعاف لنجدة ابنتي، ولكن الجنود لم يفعلوا، وظلت صفاً تنزف. لكنهم طلبوا عبر الراديو من ضباط في الجيش الحضور إلى المكان. لقد توسلتُ إلى الجنود مرة تلو أخرى، ولكن بدلاً من طلب الإسعاف قام أحدهم بركلي.

"وقفتُ زوجتي وصرختُ في وجه الجنود طالبةً النجدة واستدعاء الإسعاف. فأشهر أحدهم بندقيته في وجهها وأمرها بالجلوس على الأرض وشرع بإطلاق النار في الهواء كي يخيفنا. أُصيبتُ طفلي البالغة من العمر سنتين بالهلع وبدأت بالبكاء والارتعاش بسبب صوت إطلاق النار. واستمر الجنود بشتمنا وإهانة الأطفال والنساء باستخدام كلمة "عاهرات".

"واصلتُ الصراخ طلباً للنجدة بينما كنت أضمُّ طفلي، فاقترب أحد الجنود ونخسها بقدمه لمعرفة ما إذا كانت على قيد الحياة أم لا. كانت طفلي تحتضر، ومع ذلك فقد ظل ينخسها بقدمه!"

في تلك اللحظة أجهش الأب بالبكاء، وتم التوقف عن الحديث إلى أن أصبح قادراً على الاستمرار.

"ثم قال لي الجندي: "يجب أن تحمدوا الله على أنكم جميعاً أحياء، فقد كان يمكن أن تكونوا الآن في عداد الأموات." كان الجنود قد طلبوا من الضباط المجيء إلى المكان عندما قبضوا علينا، ولكنهم وصلوا بعد ثلاث ساعات. في تلك الأثناء كانت ابنتي تنزف وتتلوى على الرمل من شدة الألم. أردتُ أن أوقف ألمها، ولكنني لم أستطع. وفي الساعة الخامسة والنصف صباحاً وصل الضباط ونقلوني مع ابنتي وشخصين آخرين جريحين في سيارة إلى المستشفى في بلطيم، حيث فارقتُ طفلي الحياة.

" أما الأشخاص الذين لم يتمكنوا من الهرب، فقد اقتيدوا إلى مركز اعتقال تابع للشرطة في بلطيم. واحتجزت لمدة 11 يوماً، إلى جانب 48 شخصاً آخر،

"أنا سوري، أعيش في الأسكندرية بمصر منذ ثلاث سنوات. وعائلتي مسجلة لدى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين هنا. إن الحياة في مصر لا تُطاق، فعائلتي تتألف من تسعة أشخاص: أنا وزوجتي وسبعة أطفال تتراوح أعمارهم بين سنتين و 16 سنة. ولا أستطيع الإنفاق على العيش في مصر، لأنني بدون عمل تقريباً وحيث إمكانية الحصول على التعليم والرعاية الصحية محدودة. ولذا دفعتُ نقوداً إلى مهربين كي ينقلوني مع عائلتي إلى أوروبا.

"عشية 6 أغسطس 2015، اصطحبتُ عائلتي واتجهتُ نحو بلطيم [مدينة ساحلية في مصر] حيث قابلنا المهربين. كنا مجموعة مؤلفة من 96 لاجئاً ومهاجراً، بينهم سوريون وسودانيون وإرتريون ومصريون أيضاً. وكان من المفترض أن نُنقل جميعاً إلى قارب يقلُّنا إلى إيطاليا. بيد أن ذلك الترتيب جاء في اليوم نفسه الذي كانت السلطات المصرية تحتفل بافتتاح الفرع الجديد لقناة السويس، حيث تم تشديد الوجود الأمني الكثيف في جميع النقاط الحدودية الساحلية المصرية. ولم يكن بإمكان أية حشرة عبور البحر المتوسط في ذلك اليوم، فقوات الشرطة والجيش موجودة في كل مكان.

"نقلنا المهربون بالسيارات من بلطيم إلى طريق سريع، ثم أنزلونا بالقرب من الشاطئ في برج البرلس في حوالي الساعة الثانية صباحاً. وسرنا على الأقدام لمدة 30-45 دقيقة للوصول إلى الشاطئ. وحال اقترابنا، خرج علينا نحو خمسة جنود من الجانب الأيمن وصرخوا بنا "توقفوا وإلا سنطلق النار عليكم"، فتوقفنا وانبطحنا على الأرض ولكن الجنود أطلقوا النار في الهواء وبتجاهنا عدة مرات. وقد ركض بعض الأشخاص ولاذوا بالفرار.

"عندما توقف إطلاق النار، سمعتُ ابنتي صفاً، وعمرها ثماني سنوات وهي تصرخ "قلبي، قلبي". لم أعرف ما كان يحدث، فنزعتُ سترة النجاة التي كانت

"وأما أطفالي فإنهم يرتعشون عندما يرون جنوداً. وتبدأ ابنتي البالغة من العمر سنتين بالصراخ والارتعاش عندما ترى جندياً، فهي لا تستطيع نسيان الحادثة، وقد أصيبت بصدمة كذلك. ولا يريد أطفالي الذهاب إلى المدرسة. لا يمكنني وصف مشاعرنا. إنني الآن لا أريد من هذا العالم إلا شيئاً واحداً: الخروج من هذا البلد، فالحياة هنا لا تُطاق.

"حاولت الوصول إلى العديد من القنوات التلفزيونية المصرية وغيرها من النوافذ الإعلامية لإثارة قضيتي من خلالها، ولكنني أبلغت بأن انتقاد الجيش المصري خط أحمر لا يمكن تجاوزه."

وأبلغت منظمة العفو الدولية بأن النائب العام العسكري فتح تحقيقاً في حادثة مقتل صفاء، ولكنها لم تحصل على أية تفاصيل أخرى. وقال الوالد للمنظمة إنه ومحاميه مُنعا من الحصول على ملف القضية. بيد أنهما أبلغا بأنه وُجّهت إلى الجنديين تهمة "القتل الخطأ غير الإرادي" وليس "القتل العمد" أو "القتل الخطأ الإرادي"، حيث أن جريمة "القتل الخطأ غير الإرادي" يعاقب عليها بموجب القانون المصري بالسجن لمدة تصل إلى سنة. وفي بعض هذه القضايا، يُصدر القضاة أحكاماً بالسجن مع وقف التنفيذ فقط.

إن منظمة العفو الدولية تدعو السلطات المصرية إلى إجراء تحقيق عاجل وواف ومستقل ومحيد من قبل محكمة مدنية عادية أنشأت بموجب القانون، وتقديم المشتبه في مسؤوليتهم الجنائية إلى ساحة العدالة في محاكمة عادلة بدون اللجوء إلى عقوبة الإعدام. وينبغي إعلان نتائج التحقيق على الملأ. وللضحايا والمجتمع الحق في معرفة الحقيقة المتعلقة بملابسات حادثة القتل وسير التحقيق ونتائجه.

كما تدعو المنظمة إلى توفير الأمن والأمان لأكثر من 380,000 شخص من اللاجئين السوريين الأكثر ضعفاً، وذلك عن طريق إعادة توطينهم، أو السماح لهم بالدخول لأسباب إنسانية، أو توفير الطرق الآمنة والقانونية للوصول إلى البلدان الأكثر ثراء في العالم بحلول نهاية عام 2016، وفقاً لمبدأ المسؤولية وتقاسم الأعباء.

ونقلنا إلى مركز شرطة بلطيم. كما احتُجزتُ لمدة 11 يوماً في مركز شرطة برج البرلس، إلى جانب 48 شخصاً آخر، من بينهم ما لا يقل عن 15 طفلاً تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر و 18 سنة.. وبعد ثلاثة أيام من الاعتقال، استجوبني النائب العام بشأن الهجرة غير الشرعية. ثم أمر بإطلاق سراحنا، ولكننا بقينا في الحجز لمدة ثمانية أيام أخرى بانتظار الحصول على شهادة "غير مطلوب" من قطاع الأمن الوطني في وزارة الداخلية. وفي مساء 17 أغسطس/ آب أُطلق سراحنا مع معتقلين سوريين آخرين.

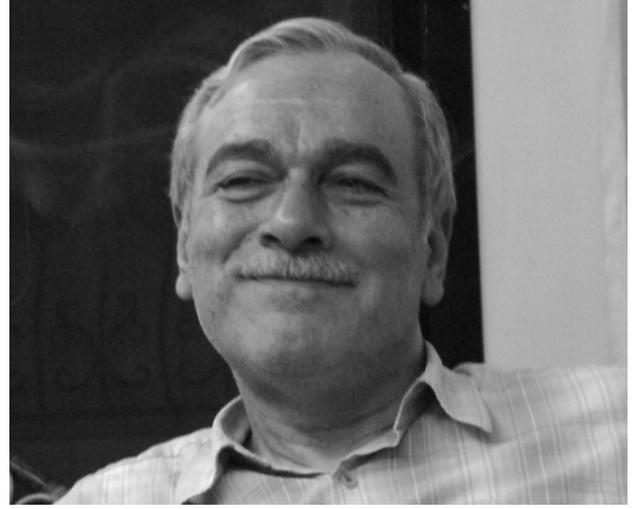
"وفي 13 أغسطس/ آب أخرجتني الشرطة من السجن لتسلم جثة ابنتي ودفنها. ورافقني ضابط شرطة في المواصلات العامة إلى المشرحة حيث تسلمتُ جثتها. ولم يحضر أحد من أفراد الجيش لمساعدتي في دفنها أو على الأقل لمواساتي بعد أن قتلوها. لكن الشرطي كان إنساناً طيباً وقال لي: "لا تقلق إذا لم يحضر أحد لمساعدتنا على دفنها، فسنقوم بدفنها بأيدينا، وسأساعدك في ذلك." ذهبنا معاً إلى المسجد للصلاة على جنازة ابنتي. وكان الموجودون في المسجد طيبين وساعدوني على حمل ابنتي إلى المقبرة الإسلامية في بلطيم، حيث قمنا بدفنها. وقد دُفنت بعد مرور ستة أيام على وجودها في المشرحة، وهو أمر مخالف لتعاليم الإسلام.

"أجرت سلطات الطب الشرعي تشريحاً للجثة، ولكنني لم أطلع على تقرير الطب الشرعي. وسمعتُ أنه يجري التحقيق مع الجنود وأن اثنين منهم قيد الاعتقال.

"أما زوجتي فهي الآن إما باكية أو نائمة طوال الوقت. فقد أصيبتُ بصدمة ولا تستطيع مواجهة الواقع بأنها فقدت طفلتها. ولا أستطيع أن أنزع من مخيلتي صورة ابنتي وهي تحتضر بين يدي، بينما تركها الجنود وهي تنزف لمدة ثلاث ساعات بدون إحضار سيارة إسعاف. إنني لن أنسى ذلك المشهد.

ضوء على حالة - عبدالعزيز الخير وإياس عياش وماهر طحان

"نريد الحرية والصحة والسلامة لعبد العزيز وماهر وإياس."



عبد العزيز الخير © Private

وهذه ليست المرة الأولى التي يُعتقل فيها عبدالعزيز الخير، فقد كانت السلطات السورية قد اعتقلته في عام 1992 خلال عملية اعتقال جماعي لأعضاء قياديين في حزب العمل الشيوعي غير المرخص، بعد قضاء عدة سنوات متوارياً عن أنظار قوات الأمن. وقد حُكم بالسجن لمدة 22 سنة إثر محاكمة جائرة بشكل صارخ قبل إطلاق سراحه في عام 2005.

وقال أنور البني، وهو محام سوري وصديق قديم لعبد العزيز الخير، لمنظمة العو الدولية:

" عندما نتحدث عن عبد العزيز الخير نتساءل دائماً هل نتحدث عن عبد العزيز الطبيب الذي كانت مهنة مداواة الآخرين هاجسه الدائم . قام بها عندما كان متخفياً وهارباً من ملاحقة الأمن له خلال أكثر من عشر سنوات لم يتوانى عن تقديم خدمته رغم ما يعنيه هذا من خطورة على حريته وحياته من الاعتقال . وقام بها أثناء الاعتقال وبعد خروجه من السجن رغم كل مشاغله السياسية أم نتحدث عن عبد العزيز الناشط السياسي والقيادي بحزب العمل الشيوعي الذي أمضى حياته يساهم ببناء الحزب وأفكاره وعمله ؟

" أم نتحدث عن عزيز المعتقل الذي أمضى عشر سنوات من عمره وراء القضبان في سجن صيدنايا العسكري ترك خلالها بصمة كبيرة في حياة السجن والسجناء بتفانيه الكبير بمساعدة السجناء لتحسين شروط اعتقالهم وتقديم الخدمات الصحية والطبية لهم عبر أدوات بسيطة جداً؟

"أم عن عبد العزيز الانسان الوالد الذي لم يستطع أن يمنح عائلته من وقته الكثير ولكنها كانت دائماً حاضرة بروحه وهاجسه للاستمرار والعمل ، أم عن عبد العزيز ابن العائلة العلوية العريقة الذي لم تترك لإرث عائلته المجال أن يتحكم بمصيره فكان معارضا لنظام كانت أهم صفاته أنه اعتمد على الطائفة العلوية لتدعيم قوته.

نتحدث عن كل ذلك دفعة واحدة عندما نتحدث عن الطبيب عبد العزيز الخير، ولأنه كل ذلك كان هدفاً دائماً للنظام ، وبسبب كل ذلك تم تغييره قسراً كل هذه المدة ولم يعرض حتى على محكمة ولم يسمح بزيارته أو معرفة مصيره أو التواصل مع عائلته ، فقط تم إخفائه لأن مجرد وجود شخص مثل عبد العزيز بكل هذه الصفات يمثل تهديداً كبيراً جداً لنظام بنى كل هيكلته على شخص.

" نحن أكثر من قلقين على حياة عبد العزيز الخير بل نحن خائفون جداً . فالنظام السوري الذي لم يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم لا يفكر حتى دقيقة بإضافة جريمة جديدة لسجله ، لذلك يجب رفع الصوت عالياً جداً حتى الصراخ ، نريد عبد العزيز الخير ورفاقه ماهر صحن وإياس عياش وكل المعتقلين أحراراً سليمين معافين."

وتعتقد منظمة العفو الدولية أن عبدالعزيز الخير وإياس عياش وماهر طحان هم سجناء رأي، وتدعو إلى إطلاق سراحهم فوراً وبلا قيد أو شرط.

عبد العزيز الخير طبيب ورئيس مكتب العلاقات الخارجية في هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي، وهو ائتلاف لجماعات سياسية غير مسلحة ويضم نشطاء سياسيين أيضاً، بينهم يساريون وقوميون عرب. وقد تأسست الهيئة في عام 2011، وتدعو إلى الانتقال السلمي للسلطة. كما عمل كل من إياس عياش وماهر طحان مع هيئة التنسيق الوطنية.

ويعيش الرجال الثلاثة في العاصمة السورية دمشق. وفي 20 سبتمبر/أيلول 2012، كان عبدالعزيز الخير وإياس عياش في الطريق إلى منزليهما قادمين من مطار دمشق إثر عودتهما للتو من رحلة إلى الصين، حيث كانا عضوين في وفد هيئة التنسيق الوطنية، واستقبلهما ماهر طحان في المطار كي يوصلهما إلى منزليهما. وكانت المنطقة المحيطة بالمطار تحت سيطرة السلطات السورية، وفيها عدد من نقاط التفتيش. وقد استقلّ الوفد ثلاث سيارات، وفي حين تقدمت السيارة الأولى عبر نقطة تفتيش تديرها المخابرات الجوية، فقد تم إيقاف السيارة الثانية التي كانت تقلّ عبدالعزيز الخير وإياس عياش وماهر طحان، وتم اقتياد الرجال الثلاثة منها، ولم ترهم عائلاتهم منذ ذلك الوقت. وكان من المقرر أن يشاركوا في مؤتمر سياسي يُعقد بعد ثلاثة أيام.

ومع أن وكالة الأنباء السورية "سانا" نقلت خبراً مفاده أن الرجال الثلاثة "اختطفوا من قبل عناصر في جماعة إرهابية"، فإنهم شوهدوا في فرع المخابرات الجوية بالمرزة في دمشق بعد اعتقالهم بوقت قصير. وبعد مرور قرابة ثلاث سنوات لم تصل أية معلومات بشأن أماكن وجودهم أو حالتهم الصحية، ولا تزال السلطات تنفي اعتقالهم.

لمزيد من المعلومات، يُرجى زيارة الموقع التالي:

<https://www.amnesty.org/en/documents/mde24/010/2013/en/>

للمشاركة في حملة منظمة العفو الدولية ضد الاختفاء

القسري، يرجى زيارة الموقع التالي:

<https://www.amnesty.org/en/get-involved/take-action/detention-in-syria>